المُمَرِّضَةُ المُبَارَكَةُ

أ.أناهيد بنت عيد السميري

بسم الله الرّحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكن سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- ✓ منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- ✓ هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- ✓ الكمال لله–عزَّ وجلَّ–، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

بسم الله الرحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصّلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مقصود هذا اللقاء مناقشة هذه المرحلة الخطيرة من المراحل التي تواجهها الممرضة ولابدّ من ذلك وهي: "مرحلة الاحتضار "ومن ثّم "الوفاة".

وهذا أمرٌ مكتوبٌ على بني آدم، كلنا جميعًا سنمرّ به فحُسن تعاملكِ معه-بما أنه جزء من مسؤولياتكِ-سيكون سببًا لتيسير هذه اللحظة عليكِ حين تكونين في حال الاحتضار ولا يخرج منه أحد إلا أن العبد الذي يُحسن في دنياه وخصوصًا في هذه المواقف يُرجى له أن يُحسن إليه لحظة وقوعه في نفس الأمر.

فنحن سنفكّر في هذا المريض الذي يحتضر وما بعد كأني أفكّر في نفسي وما انتظر أن يكون حولي لحظة الاحتضار.

ولذا لقاؤنا هذا سنسميه: "الممرضة المباركة" فنحن دائمًا نسمع: الممرضة الناجحة، المعلمة الناجحة. أو أي كلمات من هذا النوع، كل هذه معايير لكن المعيار المهمّ الذي يجب أن نهتمّ به هو: (معيار البركة).

و "الممرضة المباركة "هي التي تكون مباركة على نفسها ومباركة على هؤلاء المرضى، وهذه الممرضة المباركة انتفعت من عملها الدنيوي في أن يُثّقل موازين حسناتها، ونحن الحمد لله قوم نعلم أن الدنيا ممرّ للآخرة، فإذا كانت ممرّ للآخرة ستكون كل الأعمال التي سنقوم بها سببًا لتثقيل موازيننا عندما نلقى ربنا، صحيح أن التمريض عمل دنيوي لكنه باب واسع من أبواب الأجور فأنت في مكانكِ هذا تستطيعين أن تجمعي بين خيري الدنيا والأخرة.

ويقصد بمعيار البركة أن الإنسان في وقت قصير يقوم بأعمال جليلة، وتصوري كم يمرّ عليكِ في اليوم والليلة من أشخاص أصحاب حاجة وأنتِ تكونين مصدرًا لتفريج كربهم أو مصدرًا لإصلاح أحوالهم، وفي الحديث: قال-صلى الله عليه وسلم-: ((وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ))[1].

فالمقصد الآن: كيف أجمع لنفسي في هذا الموقف-موقف التمريض-بين الأمرين:

- شأن الدنيا
- وشأن الأخرة

وكيف أكون مباركة في نفس وقت دوامي أكسب حسنات وكأني عابدة في مسجد؟ صحيح أنكِ في الدوام لكن كأنكِ تعبدين الله في محرابك الخاص، هذا مكسب عظيم لابدّ أن يكون له اهتمام.

(1) أخرجه البخاري (2442)، ومسلم (2580).

في هذا اللقاء ستكون هناك نقاط محددة في موضوعنا:

ـ الأولى تكون في وقت الاحتضار.

ـ والثانية بعدما تحصل الوفاة.

ـ والثالثة هي عموم علاقتنا بالمريض.

➢ الممرضة المباركة يكون عملها بركة على نفسها بأن يكون عملها سببًا لذكر الله تعالى:

المرض ابتلاء من رب العالمين ولا أحد محصّن منه فإذا كنت أرى اليوم مريضًا فإنني أسأل الله–عزَّ وجلَّ–أن يعافيني لأن المرض لا يعرف لا مريض ولا طبيب، فالمريض هذا بالنسبة لي الآن تنبيه دائم على نعمة الله بالصحة؛ ولذا يكون لسان الممرضة وكل أعضاء المتصلين بعملية التطبيب لسانًا لاهجًا بحمد الله، لسانًا لاهجًا بذكر الله.

وأيضًا من السنَّة أنك كلّما رأيت بلاءات أكثر يكون في سرّك دعاء يُحصّنك من هذه البلاءات المرضية وهو الدعاء المشهور كما روي عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَأَبِي هُرَيْرَةَ–رضي الله عنهما–قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: ((مَا مِنْ رَجُلٍ رَأَى مُبْتَلًى فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا إِلَّا لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ الْبَلَاءُ))[1].

قال الإمام المناوي رحمه الله: قال العلماء: ينبغي أن يقول هذا الذكر سرًا بحيث يُسمع نفسه ولا يُسمعه المبتلى إلا أن يكون بليته معصية فيُسمعه إن لم يخف مفسدة.

وأيضًا فإن النظر إلى المبتلى يجعل العبد شاكرًا لربّه سبحانه، عن أبي هريرة–رضي الله عنه–قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: ((انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ. وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدروا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ))[2]

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي في بهجة قلوب الأبرار: "فمتى استدام هذا النظر اضطره إلى كثرة شكر ربه والثناء عليه. فإنه لا يزال يرى خلقًا كثيرًا دونه بدرجات في هذه الأوصاف، ويتمنى كثير منهم أن يصل إلى قريب مما أوتيه من عافية ومال ورزق، وخَلْق وخُلُق، فيحمد الله على ذلك حمدًا كثيرًا، ويقول: الحمد لله الذي أنعم عليَّ وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلًا.

(1) أخرجه الترمذي (3432) واللفظ له، والبزار (6217)، والطبراني في ((الدعاء))(799).

(2) رواه ابن ماجه في سننه (3358)، وصححه الألباني.

ينظر إلى خلق كثير ممن سلبوا عقولهم، فيحمد ربه على كمال العقل، ويشاهد عالمًا كثيرًا ليس لهم قوت مدخر، ولا مساكن يأوون إليها، وهو مطمئن في مسكنه، موسع عليه رزقه.

ويرى خلقًا كثيرًا قد ابتُلُوا بأنواع الأمراض، وأصناف الأسقام وهو مُعافى من ذلك، مُسَرْبل بالعافية. ويشاهد خلقًا كثيرًا قد ابتُلوا ببلاء أفظع من ذلك، بانحراف الدين، والوقوع في قاذورات المعاصي. والله قد حفظه منها أو من كثير منها..... فمن وفق للاهتداء بهذا الهدي الذي أرشد إليه النبي-صلّى الله عليه وسلم-لم يزل شكره في قوة ونمو، ولم تزل نعم الله عليه تترى وتتوالى".

➢ الممرضة المباركة مشاعرها تجاه المرضى مشاعر المواساة والمؤازرة:

وهذه المشاعر ممّا تُؤجر عليها الممرضة وهي تقوم بدورها ليست خالية من المشاعر مع المريض بل لديها مشاعر المواساة والمؤازرة وهذه حتى إذا لم تستطيعي إظهارها لكن الله مطلّع عليها وأنتِ هنا خاصّة في هذا العمل لا رقيب لك حقيقي إلا الله لأنه قد يحصل من حالات الإهمال التي لا أحد يطلع عليها وسواء سبّبت مضاعفات وإشكالات أو لم تُسبّب إذا لم يكن هناك مشاعر أن الله مطلع فلن يكون هناك ضبط للنفس.

فهنا أمرٌ مهم من الضروري ملاحظته: أنّنا أولًا بشر كلنا نشترك في أهم عامل بشري وهو الشّعور وأهمّ من ذلك أننا مسلمين نعلم أن القربى إلى الله تكون بما نحمل من مشاعر، القربى إلى الله ليست فقط أعمال جارحيّة: صلاة وركوع وسجود. هذه أعمال جليلة بلا شكّ لكن أصل العلاقة بينك وبين ربّ العالمين ما يكون في قلبك من مشاعر، ولذا الله لا ينظر إلى صورنا ولا إلى أموالنا ولكن ينظر إلى قلوبنا، فأنتِ تتقربين إلى الله وأنتِ تقومين بالأعمال بمشاعر تحملينها في فؤادك، فمن أهمّ المشاعر التي يحتاجها المريض ممّن يطببه في جميع المستويات المؤازرة والمواساة والمقصود بالمؤازرة والمؤاساة أنه في الوقت الذي ألتقي فيه بالمريض يكون ظاهر عليّ شعور أني أشعر به وبآلامه وأواسيه في ذلك.

فالعلاقة بيننا كبشر وبيننا كمسلمين علاقة تتعدّى الأمور الماديّة وتنتقل إلى المشاعر القلبيّة التي ينظر الله إليها، فأنت لا تستطيعين أن تحتملي أن تكوني مبتلاه بألم عضوي أو بألم نفسي وتلجئين لأحد أو يوجّهونك لأحد وهذا لا يُظهر شيء من العناية أو الاهتمام!

والحمد لله لدينا وقت من الاستراحة نستطيع أن نفعل فيه ما نريد فبقيت كل الأوقات الأخرى حق للمريض، حقّ عملي وحقّ مشاعري أن أواسيه وتظهر مني المؤازرة له وحتى إذا لم تكن المواساة عالية فأحيانًا يأتون مرضى منفعلين أكثر في مشاعرهم أو تأتي جماعة أخرى موسوسة بالأمراض لا يكون هناك شيء لكن هو يشعر أنه سيموت حتى هؤلاء يحتاجون إلى نوع مواساة ومؤازرة، وأهم المواساة والمؤازرة أن تعينه على تخطي هذه الصعوبة سواء كانت الآلام

حقيقة أو غير حقيقة بأن يعلم أن هذا ابتلاء من الله وأنه مأجور وأن يعلم أن العبادة الآن الصبر، كل هذه الكلمات بعد أن يظهر من مظهري أني شخص مهتمّ، تأتي مسألة الكلمات التي فيها مؤازرة وإعانة ولابدّ أن تعلم أن المريض شعوره أرقّ فالكلمات التي يسمعها في تلك اللحظة ليست فقط تكون في أذنه بل مباشرة تصيب قلبه: (اصبر، أبشر، لا يأتي من الله إلا الخير، الله الشافي، ربنا يشفينا، الله سيدلنا على المرض وأسبابه وعلاجه...) فأي كلمة طيّبة تدخل فؤاده مباشرة ممّا لو كان في حال الرّخاء لأن الإنسان في الشدّة يكون أسمع وأبصر من حال الرّخاء.

عَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ سَعْدٍ-رضي الله عنهما-، أَنَّ أَبَاهَا، قَالَ: تَشَكَّيْتُ بِمَكَّةَ شَكْوًا شَدِيدًا، فَجَاءَنِي النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يَعُودُنِي، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنِّي أَتْرُكُ مَالًا، وَإِنِّي لَمْ أَتْرُكْ إِلَّا ابْنَةً وَاحِدَةً، فَأُوصِي بِثُلُثَيْ مَالِي وَأَتْرُكُ الثُّلُثَ؟ فَقَالَ: ((لاَ)) قُلْتُ: فَأُوصِي بِالنِّصْفِ وَأَتْرُكُ النِّصْفَ؟ قَالَ: ((لاَ)) قُلْتُ: فَأُوصِي بِالثُّلُثِ وَأَتْرُكُ لَهَا الثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: ((الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ)) ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ، ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ عَلَى وَجْهِي وَبَطْنِي، ثُمَّ قَالَ: ((اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، وَأَتْمِمْ لَهُ هِجْرَتَهُ)) فَمَا زِلْتُ أَجِدُ بَرْدَهُ عَلَى كَبِدِي-فِيمَا يُخَالُ إِلَيَّ-حَتَّى السَّاعَةِ[1].

فأنتِ تصوّري أن تأتي ويكون قلبك كأنه جرح مكشوف، الكلمة البسيطة أو الالتفاتة البسيطة أو الاهتمام البسيط مؤثر جدًا على مشاعره وأنتم تعلمون أن مقاومة الأمراض أحد أسبابها أن الإنسان يكون واثقًا من رب العالمين.

عند الكفار مهم عندهم أن تكون نفسيتهم مرتفعة، بينما نحن المسلمين المهم بالنسبة لنا أن يكون الإنسان واثقًا بربّ العالمين، لكن إذا أصابه إحباط أو أتاه شعور أنه لا قيمة له أو أتاه شعور أن لا أحد مهتم به يتضاعف عليه الألم ويجتمع الألم النفسي مع الألم البدني.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، يَقُولُ: ((لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ عزَّ وجلَّ))[2].

فهذا دور مهم فتصوّري أنتِ الآن لست في مجال الدعوة ولستِ في مجال الوعظ مثلًا لكن بإمكانكِ أن تقومي بأعظم من ذلك، في موقف يكون فيه الإنسان أحوج ما يكون، فقط ذكريّه أن هذا مصاب وأن الله يعطيه أجور على ذلك، وأن هذا فيه رفعة لمنزلتك، وأن هذه منزلة لك في الجنة وربما لن تصلها إلا بهذا البلاء، والصّبر عليه وراءه أجور فتقولين له: ستكون هذه الآلام مجرد حكاية غدًا وتبقى آثارها في ميزان حسناتك.

(1) رواه البخاري في صحيحه (كتاب المرضى، باب وضع اليد على المريض، 5659)

(2) رواه مسلم في صحيحه (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، 2877)

وربّما قد يكون هناك أهالي موجودين مع المحتضر أو الذي مات فأنتِ أول ما تشعرين بذلك لابدّ من تنبيههم إلى الكلمات الأولى فأول ما تشعرين أنه وصل إلى المكان الذي فيه المحتضر تقولين لأهل الميّت: الملائكة تؤمن على ما يقوله أهله في هذا الموقف فلا تقولوا إلا ما يرضي ربنا، فهكذا تنقذينهم مما سيقولون.

أنتِ الآن تصوّري تعدّد السخط على الله وإذا قال كلمة رضا فإنه سيكون في ميزانك مكتوب، وهذا إذا صبر ففي ميزانك مكتوب، وهذا إذا أحسن الظنّ بالله ففي ميزانك مكتوب، فأنتِ الآن فكري بنفسك لكن بطريقة صحيحة، فكري بالنجاح لكن بالنجاح الحقيقي لأن الإنسان لا يمكن أن يخلوا في لحظة من حب أن ينجح ويعلو لكن لابدّ أن نتفق أيتها المباركة أين تريدين أن تنجحي وتعلي!

إذا كنت عند ربّ السماء مذكورة فهذا يكفيك عن ذكر أهل الأرض، وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ-صلى اللهُ عليه وسلَّم-: ((مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَلَهُ صِيتٌ فِي السَّمَاءِ، فَإِذَا كَانَ صِيتُهُ فِي السَّمَاءِ حَسَنًا، وُضِعَ فِي الْأَرْضِ حَسَنًا، وَإِذَا كَانَ صِيتُهُ فِي السَّمَاءِ سَيِّئًا، وُضِعَ فِي الْأَرْضِ سَيِّئًا))[1].

فأنت فبكلّ ما سبق ذكره إنما تبحثين عن صيت لك في السماء عن طريق اغتنام الفرص المحيطة بك.

والمؤازرة والمواساة في أصلها هي عبارة عن كلمات، هذه الكلمات تُذكره بالأجور المترتبة على المرض وأنها كفارة له تقولين له: إذا صبرت عليه يرفع ميزانك، يثقل ميزانك، هذا المرض إذا صبرت عليه يرفع درجاتك في جنات النعيم، هذا المرض إنما ابتلاك الله به حكمة عظيمة الله أعلم بها لكن في النهاية أنت المنتفع به، ابذل جهدك أن تنتفع به.

هذه الكلمات ليست محاضرة أقولها كلها مرة واحدة بل هي كالسهم السريع ثم نبقى نقول: اصبر إن الله مع الصابرين، صبرك هذا يجعل الله معك ومعية الله لا فوقها معية، إذا كان الله معك انتهت كل الأمور.

هم عادة عندما يكونون في حالة اضطراب من المرض فكثيرًا ما ينادونك ويشعرون كأنك أنتِ التي ستنجيهم، فمن الضروري أن تقولي لهم إنك عبد وأنّ الله معك، وبما أنك صابر وتحبس نفسك على الرضا وعلى الألم فلابدّ أن تعرف معية الله لك.

قَالَ الرَسُولَ اللَّهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ))[2].

وهنا ضروري جدًا لأنفسكم قبل أن يكون للمرضى أن تزيد معرفتك بمعاني أسماء الله لأنك ستحتاجينه طوال حياتك وفي العمل هناك حاجة شديدة له، يعني انظري كيف نؤمر بعد كل صلاة أن نقرأ سورة الإخلاص وقبل النوم

(1) أخرجه البزار (9202)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (5248)، وابن عدي في ((الكامل في الضعفاء)) (163/2) واللفظ له، وصححه الألباني في الصحيحة (2275).
(2) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، 1469)

نقرأه ثلاثة مرات وفي أذكار الصباح والمساء نقرأها ثلاثة مرات ومن قرأها عشر مرات بني له بيت في الجنة، لماذا كل هذا حول سورة الإخلاص؟ لأنها تذكرني دائمًا وأنا العبد الضعيف أن لي واحد أصمد إليه في كل شأن، وأن هذا الذي أصمد إليه في كل شأن هو الصمد السيد الذي قد كمل في سؤدده الملك العظيم الرب الكريم الشافي المعافي صاحب الأمر القيوم.

قال الإمام الخطابي: (الصمد) هو السيد الذي يصمد إليه في الأمور، ويقصد في الحوائج والنوازل، وأصل الصمد: القصد، ويقال للرجل: اصمد، صمد فلان، أي: اقصد قصده، وجاء في التفسير: أن الصمد: الذي قد انتهى سؤدده.

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي: {اللَّهُ الصَّمَدُ} "أي: المقصود في جميع الحوائج. فأهل العالم العلوي والسفلي مفتقرون إليه غاية الافتقار، يسألونه حوائجهم، ويرغبون إليه في مهماتهم؛ لأنه الكامل في أوصافه، العليم الذي قد كمل في علمه، الحليم الذي قد كمل في حلمه، الرحيم الذي كمل في رحمته الذي وسعت رحمته كل شيء، وهكذا سائر أوصافه."[1]

ليس المقصد أن أعمل عملية وعظ بل هي كلمات فقط مثل السهم وهو مكشوف فالكلام مباشرة يقع في قلبه وهو لابد أن يعلم أن هذا الذي هو مصاب به لا يُنجيه ولا يُخرجه منه إلا الله وهذا كله الذي حوله مجرد أسباب إذا نفع الله بها انتفع وإذا لم ينفع الله بها ما نفعه.

والشفاء كله عبارة عن وصول الدماء الطيبة مكان المرض، الإنسان يشفى يعني ماذا؟ يعني أن يصل الدم إلى مكان المرض ولا يُجري هذا الدم إلا الحي القيوم القائم على كل نفس بما كسبت، لابدّ أن يعلم المريض أنه ليس كجوال مشحون يأتي ويسير في الحياة، بل الله القيّوم قائمٌ عليه وعلى كل شيء في بدنه، الله هو الذي يُجري ما يَجري ويُسكن ما يَسكن.

قال ابن القيم–رحمه الله–: "(القيوم) متضمن كمال غناه وكمال قدرته فإنه القائم بنفسه لا يحتاج إلى من يُقيمه بوجه من الوجوه وهذا من كمال غناه بنفسه عما سواه وهو المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته وهذا من كمال قدرته وعزته"[2].

---

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان

(2) بدائع الفوائد

الآن مسألة مثل مسألة جلطة دماغيّة عبارة عن تجلط كمثل رأس الدبوس، هذا كيف كان يجري؟! والآن كيف تجلَّط؟! كله بأمر الله، والذي يُخرّجه له بأمر الله وأنا بالنسبة له كالسبب إذا نفع الله بي كان بها، وإذا لم ينفع فالأمر أمر الله.

فأنتِ أيضًا في مثل هذا الموقف حتى لا يكون الثقل كله عليك نفسيًا لابدّ أن يعلم إلى مَن يرجع وينادي مَن؟ فأنتِ بهذا ترحمينه من التعلّق بكِ، يعلم أنكِ في الحقيقة تقومين فقط بأعمال قد ينفع الله بها وقد لا ينفع.

فهذا المرض لا يتعلق بي ولا بالطبيب ولا بأي أحد، نحن أسباب إذا نفع الله بها فالحمد لله، وإذا لم ينفع فالله المستعان.

فالمقصد الآن أنه دورنا وهذا الكلام لكم في حياتكم قبل أن يكون لوظيفتكم، معرفة الله تجعل الإنسان سائرًا على الطريق المستقيم في تفكيره وفي قراراته وفي تصرفاته وفي ردود فعله، فعندما تعلم والمريض يعلم فلن يصمد وقت الحاجة لغير الله، سيعز نفسه، ستكون تصرفاته سليمة، سيكون ندائه لرب العالمين.

مثلًا مناوبتك ليلًا وينادِيك المريض كثيرًا فتقولين له: الآن الثلث الأخير من الليل رب العالمين ينزل إلى السماء الدنيا والآن ينادي الله العباد كما في الحديث: قال رَسُولَ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

((يَنْزِلُ اللهُ عزَّ وجلَّ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟))[1].

الله يناديك! فإذا كانت لك حاجة، قل: يا رب. لازلت أقول لكن: أنتِ الآن في نفس الموقف ممرضة وواعظة ومنبّهة ومقربّة له إلى الله وقد تكون هذه آخر فترة في حياته فتكونين قد نفعتِه أكثر من انتفاع مسألة الطب يعني قد لا يخرج بنتيجة من التطبب وهذه آخر فترة في حياته وسيموت هنا فلتكن آخر فترة من حياة أحد بقربه من رب العالمين وهكذا ستكونين بمنزلة عظيمة بأنك وجهتي أحد للقرب من رب العالمين.

وهذه آخر خدمة تقدمينها له: زيادة تعلّقه برب العالمين، بأن يسأل الله ويستغفر الله ويعلم أن الأمر بيد الله لكن بدون إدخال أي مشاعر إحباط له أو تيئيس له من روح الله بل بالعكس نحن علينا أن نبقيه في مكانه الصحيح ونُبقي مشاعره كما ينبغي، أي من جهة رجائه لرب العالمين لأنه إذا كان هناك خوف شديد من الموت قد تكون النتيجة أن يصيبه يأس فييأس من روح الله ويسيء الظن بالله.

---

(1) أخرجه البخاري (1145)، ومسلم (758)، وأبو داود (1315)، والترمذي (446)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (10310)، وابن ماجه (1366)، وأحمد (7792) باختلاف يسير، والبيهقي في ((الاعتقاد)) (ص116) واللفظ له.

➢ الممرضة المباركة مع المريض المحتضر:

الآن أنا مع مريض في حكم الطب أنه وصل إلى قرب الموت ماذا سأفعل معه؟!

سأضعها في نقاط حتى لا يحصل خلط:

1. أوجهه لاغتنام ما بقي من حياته بالتوبة والاستغفار:

فلابدّ من لفت نظره وتوجيه قلبه إلى التعلق بالله وطلب المغفرة من الله وسؤال الله.

أنت مناوبتك بالليل أو النهار نقول له: عندما يأتي الثلث الأخير من الله ادعُ ربنا، وأنتِ تعلمين أنه في حكمنا قريب من الموت ولا يكون هو قريب من الموت وسيحاسب وأنا مسلمة وأعرف ما ورائه من سؤال وحساب ولا أستفيد من هذه الفرصة في توجيهه، وإذا أحسن في هذا الزمن كما أتى الرجل للفضيل بن عياض فسأله الفضيل:

- "كم عمرك؟
- قال: ستين عامًا.
- قال: أعلمت أنك تسير إلى الله منذ ستين عامًا!
- قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.
- قال: أتدري ما تقول؟ (إنا لله) أي: نحن مُلك لله و(إنا إليه راجعون) أي: سنرجع إليه.
- فقال: ما الحيلة الآن؟
- قال: أحسن فيما بقي يغفر لك ما سبق.

يعني تصوري هذين اليومين فقط-الوقت الباقي له عندك-أو ثلاث أيام وأنت ترين أنه يتدهور ولازال يتكلم ويرد عليك وقد يدخل في غيبوبة بعد أربعة أو أيام، ربما في هذه الأربعة الأيام يُغفر له ما قد سبق في حياته ويُكتب في ميزان حسناتك، تكتب لك توبته وحسن ظنّه بالله.

فلا تستهينوا بهذا الكلام وبهذه المكانة فكل هذا الذي يكون في الدنيا من مكانة أو من منزلة اجتماعية كله يزول والذي يبقى ما هو موجود عند رب العالمين، ولا زلت أنبهكم أن هذا ليس دور متفرد يقوم به الواعظ أو يقوم به الخطيب أو الداعية بل هو دور جميع المسلمين أنهم عندما يجدون لأنفسهم فرصة لأن يوجهوا أحدًا فعلوا، وهو لا يريد

كلامًا طويلًا أو محاضرة بل الكلام الذي تقوله لأعز الناس عندك عندما تعرف أنه سيلقى ربه ماذا ستقول له؟ ستقول: استغفر وتب وتقرب، هذه النقطة الأولى.

2. شدة ترجيته في رب العالمين وأنه غفور رحيم وأن الله هو الشافي المعافي وأن كل الأمور بيد الله، وشدّة الترجية حتى لا يقع في قلبه شيء من اليأس من روح الله:

حتى إذا كنت أجد في علمي أن هذا قريب الموت يبقى الرجاء بالله، ولابد أن ترجّيه بالله فالمريض يأتي فيقول: أنا سأموت أو من هذه الكلمات فتقولين له: الأمر بيد الله وكم مرّ علينا من ناس يدخلون في أزمات وبعد ذلك يخرجون منها، اجعل أمَلك بالله ورجائك بالله لأن الرجاء والأمل بالله وحسن الظنّ به أحسن ما يختم للإنسان به ولذلك في الحديث عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ: «كَيْفَ تَجِدُكَ؟» قَالَ: أَرْجُو اللَّهَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

((لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو، وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ))[1].

يعني إذا جعلته يحسن الظن بالله أنه سيعامله أحسن معاملة وأنه يغفر له ذنبه فقد نجا، إنه سائر للامتحان فهو خارج من عندك ولم تنتهِ الحياة بل سيدخل اختبار فأنت تجهزينه للابتلاء، وأتى ابتلائك أن تكوني آخر من يجهزه وهو لازال متيقظًا وبعد ذلك مِن عندك للاختبار مباشرة.

معنى ذلك أنه سيختم له بالكلام الذي حدث بينكم، الناس الذين تحسن خواتيمهم قد تكونين من أحسن الأسباب لحسن خاتمة أولئك، وأبشري إذا بذلتِ جهودك مع هؤلاء لتحسن خواتيمهم فأبشري أنت بحسن الخاتمة، وإذا حسُنت خاتمة العبد طاب له حاله في قبره وطاب له حاله عندما يلقى ربه وارتفع درجات عند ربه ونجا من النار وكان مصيره إلى الجنات لأن حسن الخاتمة علامة على قبول الله للعبد.

فإذًا أنتِ عليكِ أن تفعلي ما تستطيعين، فنحن مشكلتنا أننا لدينا فرص واستثمارها ضعيف وأنتم تعلمون أن الإنسان سيستثمر الشيء الذي يهتم به فإذا كان ما عند الله هو المهم وهو حقيقة مهم سيكون جهدك وبذلك على استثمار الفرص المتصلة بذلك، وإذا كان ما عند الله ليس مهمًا-الله يعيذنا ولا نكون من أولئك القوم-سيكون هذا في المقابل سبب في إهمال هذه الفرص وإن شاء الله لا نكون ممن أهمل الفرص.

3. تذكيره بالشهادة:

إذا وصلنا لهذه المرحلة واقترب من الموت وهناك علامات من المؤكد أنتم تعلمونها للموت وسواء كان في غيبوبة أو لا، الأمران متساويان بالنسبة لنا تأتي مسألة تذكيره بالشهادة بحيث أنا أقول: (لا إله إلا الله) فهو يسمعها لأن المريض

(1) رواه الترمذي وحسنه الألباني

في شدّة عظيمة وقد تجعل هذه الشدّة أي أمر له أو صيغة أمر يردّها ولا يقبلها حتى إذا قلت له قل: (لا إله إلا الله)، فالمطلوب أني كمسلمة أردّدها وهي في ميزانك وأيضًا مقصدك أنه يتذكّرها ويتساوى في هذا من ترينه في غيبوبة أو المستيقظ لأن هذا الذي في غيبوبة غيبوبته في عدم قدرته على الاتصال بك لكن في لحظة الاحتضار يسمع ويبصر حتى إذا لم تعلم أنه يسمع يبصر فلا تعتقد أنه ليس معنا بل هو معنا في لحظة الاحتضار.

تنبيه مهم:

في الحديث أن من دعاء النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ))[1]

هنا مسألة مهمة لابد من التنبيه عليها وهي مسألة الصراع مع الشيطان في تلك اللحظة-نسأل الله أن يعيذنا ويعيذ المسلمين-لابد أن تعلم أن لحظة الاحتضار لحظة يكون الشيطان فيها موجودًا ويكون شديد الضغط على المتوفى لأن هذا بالنسبة له مكسب كبير إذا استطاع أن يصل ويفتن هذا الإنسان ويمنعه من قول: (لا إله إلا الله) سيكون قد وصل إلى مراده، فلا بد من التنبه هنا في هذا الموقف أن نردد (لا إله إلا الله) فنحن بأنفسنا نستعيذ من الشيطان الرجيم ولابد أن تعلم أن المريض يحتاج منك التذكير بـ (لا إله إلا الله) لأن الشيطان حاضر في هذا الموقف يصارع فؤاد المريض، كثرة الاستعاذة منك وكثرة قول: (لا إله إلا الله) الاثنان يدفعان عنه الفشل في هذا الاختبار الأخير بالنسبة له، لابد أن تشعر أن هذا الاختبار الأخير وأنه في أزمة حقيقة وأنه لا إحسان كهذا الإحسان.

تذكري أن للملائكة الكرام حق!

لابّد أن يكون الاحترام للملائكة الكرام ظاهر على من يقف هذا الموقف، لتتصوري ما تعتقديه في لحظة الاحتضار تصوري أن هناك ملك الموت عند رأس المريض ثم في المكان الذي فيه احتضار ملائكة على مدّ البصر، النائم على فراشه يحتضر الملائكة أمامه إلى الأفق وهم معك أنت أيضا التي تقفين في موقف الاحتضار.

كما في حديث البراء بن عازب-رضي الله عنه-: "إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي إِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، وَانْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، نَزَلَ إِلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ كَفَنِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ...."[2].

(1) رواه أبو داوود في سننه (1552) وصححه الألباني.

(2) أخرجه أبو داود (4753)، وأحمد (18557) باختلاف يسير، والنسائي (2001)، وابن ماجه (1549) مختصراً.

ولذلك نقول لأهل المريض لا تقولوا أي قول فيه سخط لأن هذه الملائكة تؤمن على ما تقولون بل الآن مطلوب أن تدعو.

كما في الحديث: ((إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَرِيضَ، أَوِ الْمَيِّتَ، فَقُولُوا خَيْرًا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُؤَمِّنُ عَلَى مَا تَقُولُونَ))[1].

فما الذي يحصل عادة وهذا ليس متصور من المسلمات لأن المواقف التي شهدتها مع غير المسلمات يكونون في هذا الموقف كأنهم يعاملون آلة ليس هناك احترام للملائكة، غير أنهم يتكلمون ويضحكون وهذا كثير في غرف العناية التي يكون فيها من المعروف أن هذا يحتضر وهم يتعاملون كأنه لا أحد من العالم الأخر موجود وهذا بسبب أن كثرة الممارسة وكثرة المساس تميت الإحساس وتجعل الإنسان ينسى ما هو كائن هنا.

أنت الآن مؤمنة وتعلمين أن ملك الموت يتلقى الروح ويعطيها مباشرة للملائكة الباقية فإن كان من أهل الخير كانت الملائكة الحاضرين ملائكة الرحمة وإن كان من أهل الشر-الله يعيذنا-كانت ملائكة العذاب حاضرة، لكن عندما نكون نحن واقفين في هذا الموقف من الإحسان لأنفسنا وله أن نطلب من الله أن تكون ملائكة الرحمة هي الموجودة وهذا الموقف إذا عظمت فيه الملائكة رغم أنه موقف احتضار إلا أنه يُنزل على نفسك الانشراح بسبب وجود الملائكة ما يُنزل، وجود الملائكة هنا أمر حقيقي لا يراه إلا الميت لكن المؤمنين بعقيدتهم يعتقدون أنهم موجودون واحترامًا للميت واحترامًا لمشاعر أهله هذا مهم، واحترامًا للملائكة الموجودين لابد أن يكون عليك سمت الهدوء، سمت الشعور بهذا الشيء الذي يحصل الآن-خروج روحه-وإذا طالت مسألة خروج الروح فليُعلم بحسن الظن بالله أن هذه كلها كفارات له فلا تتعجل في الحكم على أحد وهذه مشكلة قد يقع فيها الإنسان الحاضر هذا الموقف، فأحيانا تشعر بصعوبات في إخراج روحه فلا تستعجلي في نفسك في الحكم عليه، المهم أن نحسن الظن به ونظن أن هذه كفارة له وأن التي تأخذه هي ملائكة الرحمة.

فالمطلوب منا ثلاثة أمور كما هو متضح:

- معرفة عظمة هذا الموقف وأن الملائكة تحضره فلا تستهِن به.
- وكن على إجلال وتوقير للملائكة الحاضرين.
- ومعرفة أن الشيطان حاضر أيضًا فتحصل كثرة الاستعاذة.

تعظيمك وتوقيرك للملائكة سبب لسكون النفس لك أنت؛ كونك احترمتها تكتب في ميزانك، سيكتب أنك مؤمنة، لابد أن تعلمي مقدار كون أن تكوني مؤمنة فالناس يصبحون مسلمين ويمسون كافرين ويمسي الرجل مؤمنًا

(1) رواه ابن ماجة وأحمد.

ويصبح كافرًا والإيمان أصله الإيمان بالغيب، بمعنى أن مما يثّقل موازينك كإنسانة مؤمنة أن الله يرى قلبك في لحظة هذا القبض شاهده أن الملائكة موجودة برغم أنك لا ترينها بعينك، لابد أن تُري ربك من نفسك خيرا.

أنه الآن يأخذ ملك الموت الروح ثم مباشرة تأخذها ملائكة الرحمة-إن شاء الله-وتلفها وترفعها وتنصرف الملائكة بعدها من هنا وهذه كلها أحداث حقيقية ولابد أن تُظهري لربك أنك مؤمنة بها، فهذه كلها فرص للمؤمن يزداد بها إيمانا.

➢ الممرضة المباركة بعد وفاة المريض:

مات المريض واتفقنا على كل ما سبق وأنه توفي على أي حال توفى عليها سواء سمعتِه نطق الشهادة أو لم تسمعيه هذا بالنسبة لكِ كالسرّ الذي يجب ألّا يخرج، أنتِ لست شاهدة لا على حسن الخاتمة ولا على سوئها، الذي حصل لنفترض أن أهله ليسوا موجودين أو غافلين أو أي شيء نحن لا علاقة لنا أهله ينقلون الكلام هذا شأنهم أما أنا كممرضة هناك أمانة لهذا المجلس، نطق الشهادة هذا كلام مُبشّر، لم تسمع الشهادة أو كان على حال أن قال كلام لا يقال لأنه-نعوذ بالله-عندما يكون الإنسان على معصية في لحظات الموت يتكلم عن معصيته أحيانا-الله يعافينا ويحسن خواتيمنا-أنت المطلوب منك الستر التامّ على أي شيء معيب، كونه نطق الشهادة هذا ليس معيب تستطيع أن تبشر به، لكن أي شيء آخر فلا.

ما يحصل من أحداث تشعر أنه قد يكون فيها وصف بالسوء للميت لابد أن لا تنقليه، إذا سترتِ على الأحداث الدائرة بقي أن تستري بدنه، لكم الطريقة الخاصة لستر بدنه وهي عبادة تُكتب في ميزان حسناتك فاحتسبي الأجر ولا تضيعي الفرصة على نفسك.

ولا أحد منا يحب الفضح وهذا شيء طبيعي في نفوسنا فأنت استر المسلمين ربنا يسترك، ذكرًا كان أو أنثى لكن الأنثى الأمر أكثر.

في الحديث قال-صلى الله عليه وسلم-: ((وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ))[1].

يأتي أيضًا في هذا الموقف أمر مهم وهو تبليغ أهل الميت، من المتضح أنه ليس دوركم لكن لنفترض هناك مواقف حرجة أن تكوني قابلتِ أهل الميت في الخارج لن ترجعيهم للطبيب، ستقابلينهم قد تكون أتتهم أخبار من بعيد، فما هي الطريقة المُثلى لإبلاغ مثل هذا الخبر؟ حتى الطبيب أو الطبيبة الواجب عليهم تعلم الطريقة المُثلى لأنه ليس بضاعة

(1) أخرجه مسلم (2699)، وابن ماجه (225)، وأحمد (7427) باختلاف يسير، وأبو داود (4946)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (7285) مختصراً، والترمذي (2945) واللفظ له.

وانتهت صلاحيتها! بل هو آدمي له شرفه ومكانته وله محابّه وأحبابه الذين يعتبر خروجه من حياتهم كالكارثة-الله يحفظ علينا نعمه-لكن تصوّر نفسك مكانهم لتعلم الكلام المناسب الذي تقوله.

لا زلنا نقول إن هذه عبادة حتى إبلاغ أهل الميت بموته عبادة لابد أن نختار فيها الألفاظ الصحيحة.

أولًا نذكرهم أنهم مؤمنون ونذكرهم بشيء مهم فنقول مثلًا: أنت امرأة مؤمنة وتعلمين أن من قال: (إنا لله وإنا إليه راجعون) فأولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة، نذكرهم بهذه الكلمة ليقولوها، أي أنكِ بمجرد أن تقابلينهم تقولين: (إنا لله وإنا إليه راجعون) فتكونين بذلك وصفت الحدث ولقنتيهم الكلمة التي بسببها تنزل عليهم الصلوات والرحمة، فكري في أنهم سيكسبون الصلوات والرحمة.

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي في قوله تعالى:

{ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ} [البقرة: ١٥٦]

فالصابرين، هم الذين فازوا بالبشارة العظيمة، والمنحة الجسيمة، ثم وصفهم بقوله: {الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ} وهي كل ما يؤلم القلب أو البدن أو كليهما مما تقدم ذكره.

{قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ} أي: مملوكون لله، مدبرون تحت أمره وتصريفه، فليس لنا من أنفسنا وأموالنا شيء، فإذا ابتلانا بشيء منها، فقد تصرف أرحم الراحمين، بمماليكه وأموالهم، فلا اعتراض عليه، بل من كمال عبودية العبد، علمه بأن وقوع البلية من المالك الحكيم، الذي أرحم بعبده من نفسه، فيوجب له ذلك، الرضا عن الله، والشكر له على تدبيره، لما هو خير لعبده، وإن لم يشعر بذلك، ومع أننا مملوكون لله، فإنا إليه راجعون يوم المعاد، فمجاز كل عامل بعمله، فإن صبرنا واحتسبنا وجدنا أجرنا موفورا عنده، وإن جزعنا وسخطنا، لم يكن حظنا إلا السخط وفوات الأجر، فكون العبد لله، وراجع إليه، من أقوى أسباب الصبر.

{أُولَئِكَ} الموصوفون بالصبر المذكور {عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ} أي: ثناء وتنويه بحالهم {وَرَحْمَةٌ} عظيمة، ومن رحمته إياهم، أن وفقهم للصبر الذي ينالون به كمال الأجر، {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} الذين عرفوا الحق، وهو في هذا الموضع، علمهم بأنهم لله، وأنهم إليه راجعون، وعملوا به وهو هنا صبرهم لله. ودلت هذه الآية، على أن من لم يصبر، فله ضد ما لهم، فحصل له الذم من الله، والعقوبة، والضلال والخسار، فما أعظم الفرق بين الفريقين وما أقل تعب الصابرين، وأعظم عناء الجازعين، فقد اشتملت هاتان الآيتان على توطين النفوس على المصائب قبل وقوعها، لتخف وتسهل، إذا وقعت، وبيان ما تقابل به، إذا وقعت، وهو الصبر، وبيان ما يعين على الصبر، وما للصابر من الأجر، ويعلم حال غير الصابر، بضد حال الصابر. وأن هذا الابتلاء والامتحان، سنَّة الله التي قد خلت، ولن تجد لسنَّة الله تبديلا، وبيان أنواع المصائب.

- إذًا إمَّا تقولين في بداية الكلام: نحن أناس مؤمنين ونعلم أن الحياة كذا وكذا. فهذا كلام طويل.
- أو إذا أردتِ اختصار الكلام تقولين: (إنا لله وإنا إليه راجعون) وذكريهم بأن أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة، هذا التذكير بالصلوات والرحمة سيكون إن شاء الله سببًا لنزول الصلوات والرحمة عليهم وعليك.

التذكير من المعاني المعروفة فمهما كانت فاهمة وعارفة وحافظة في لحظة المصاب الإنسان يفقد الذاكرة كأنه لا يعلم ولا يسمع ولا يرى وعندما يذُكر بشيء وقتها يتذكر.

انظروا عمر بن الخطاب على ثبات قدمه في الإسلام عندما مات النبي أنكر أنه مات، فما هدأت نفسه ولا قبل إنما عندما اعتلى المنبر أبو بكر-رضي الله عنه-وقال: إن الله-عزَّ وجلَّ-يقول {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ}[1] يقول عمر-رضي الله عنه-: كأني أول مرة أسمعها، وهو لديه قدم راسخة في الإسلام ومع ذلك هاك معاني ثابتة واضحة الإنسان يأتيه المصاب يفقد فهمه لهذه المعاني، لا تقول لنفسك: هم يعلمون ما يقولون، لتعرف أن وقت نزول المصاب تتغير الأحوال والأوضاع وتتغير، حتى أحيانا يذهل عن اسمه وكيف يتصرف وما هو التصرف السليم فأنت في حال هدوء الحمد لله اعلم أن ارشادك له نوع من أنواع القربى والعبادة لرب العالمين.

لا تنسَ هذا أبدًا أننا نهتم:

- بتلقينه الشهادة وبالاستعاذة من الشيطان الرجيم.
- باحترام الملائكة الموجودين.
- سنهتم بالستر المعنوي والحسي.
- سنهتم بأن نكون ممن يذّكر أهله بالصلوات والرحمة التي تنزل عليهم.
- إذا كان هناك أحد حاضر وقت الاحتضار في نفس الغرفة لابد من أن تحذرهم من أن يقولوا أي شيء يسخط رب العالمي سواء دعاء على أنفسهم أو اللطم أو غيره، لأن هذا كله من الكبائر وتأمن عليه الملائكة وهذا أمر خطير أن الإنسان يأتي في لحظة المفترض أن يكون فيها صابرًا والملائك حاضرة تؤمّن وهو يقول ما لا يرضي رب العالمين.

---

(1) [سورة الزمر: ٣٠]

على كل حال، هذا الموضوع شديد الحساسية بالنسبة للناس لأن الإنسان في لحظات المصاب عندما ينزل عليهم هول المصيبة لا يبقى ذاكرًا من المصاب كله إلا الكلام الذي سمعه وقت المصاب، وكيف كلمتموه أو بماذا ذكرتموه، فقد يتذكر كل مرة بأنك ذكرته بـ: {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} يدعي لك أن يجزيك الله خيرًا بأنك ذكّرته بكذا، وأنا أقول لكم: دائمًا تأتيني أحوال اكتئاب ويشتكون من فقد محبوب وأول شيء يذكره المكتئب: شدة نزول الأمر عليه من جهة المُبلِّغ له، أي أول لحظة دخل في الاكتئاب، كانت بسبب من بلَّغه، سواء كانت المفاجئة أو الطريقة في الكلام.

لذلك أنصح نفسي وأنصحكم في الخطوات التي ستخطِها ما بين هذه الغرفة التي فيها الميت وما بين خروجك ولقائك لأحد من أهله أن: تدعي أن يوفقك ربنا في الكلام الذي ستقولينه لهم، وأن تدعي أن يسهّل لك ربنا كلام يقع في قلوبهم، تدعي لهم أن ينزل الله عليهم الثبات، نحن لا نتعامل مع هذه الحالات على أننا الآلات بل نتعامل بكامل الإنسانية الإسلامية، قد يقول ذلك شخص مجرد من المشاعر ويقوم بالقضية على أنها وظيفة وراتب في آخر الشهر ويقول: هو مات! وانتهى الموضوع لكن أنت إنسانة ومسلمة وتعلمين أن هذه المواقف قد يصل إنسان فيها إلى رضا رب العالمين أسرع ما يكون وقد والعياذ بالله يكون في سخط رب العالمين فكيف بكلمة واحدة منك تكون هذه نجاة له من سخط رب العالمين ونجاة له من أن يكتئب أو يدخل في إشكالات من هذا النوع.

فلابدّ أن تعرفي أن لحظة اللقاء بينك وبين هؤلاء-أهل الميت-ليست من صميم عملك، لكن نقول ليس هذا الذي من صميم العمل دائمًا يحصل، قد تحصل أحوال مخالفة لصميم العمل فكوني متذكرة ماذا تقولين ومثل هذا الكلام تقولينه أيضًا وتنقلين الخبرة للأطباء أو المسؤولين عن التبليغ.

جزاكم الله خيرًا

السلام عليكم ورحمة الله